الأهرام

المصدر :

التاريخ :

بقلم:
صلاح الدين سليم

معلومات ثرية وغنية تلك التى ذكرها اللواء صلاح الدين سليم عن داغستان المسلمة.. وهى مفيدة ليس للتسلية لكن لفهم ابعاد الصراع هناك وكيفية التأثير فيه كما اقترح اللواء سليم فى نهاية مقاله الذى بشر فيه ايضا بدولة اسلامية قوية ستكون باذن الله من عدة دول اسلامية بالمنطقة وهو فى ذات الوقت يشكل المبرر لما تخشاه روسيا ومعها الغرب كله.

نحن.. وشيشنيا.. وداغستان

أزعم ان كثيراً من وسائل الاعلام المصرية، وفى مقدمتها التليفزيون، تتناول مشكلتى داغستان وشيشنيا بسطحية غريبة، وتردد فى اهمال وجهل شديدين اخبار وكالات الانباء الروسية والامريكية والبريطانية التى تدين تمرد الانفصاليين وتطرف المسلمين وتتهم دولا عربية واسلامية بدعم الثوار فى شمال القوقاز، ويبدو ان بعض الكتاب والمحررين لم ينتبهوا الى المخطط الاعلامى الصهيونى الامريكى الذى يستغل كل حدث دولى واقليمى لتشويه صور الصحوة الاسلامية المعاصرة وادعاء خطرها الشديد على الحضارة الغربية خلال القرن القادم من ناحية، ولتحقيق المزيد من التغلغل فى الاتحاد الروسى الذى يضم ٢٠ جمهورية تتمتع بالحكم الذاتى، ويتطلع ربع هذا العدد الى الاستقلال الكامل، ومنها شيشينيا وداغستان واوسيتيا الشمالية وانجوشيا، وعندما وقعت معاهدة الاتحاد الروسى فى ٣١ مارس ١٩٩٢ وافقت عليها ١٨ جمهورية ورفضتها جمهوريتان اسلاميتان هما تتارستان، وشيشينيا، وهما تملكان موارد نفطية كبيرة، ثم وقعت الاولى مع روسيا معاهدة اتحادية عام ١٩٩٤ بينما غزا الروس شيشنيا فى ١١ ديسمبر ١٩٩٤ واستمرت الحرب حتى اغسطس ١٩٩٦ حين ابرم اتفاق سلام بين الجانبين تأجل بمقتضاه بحث استقلال شيشنيا حتى عام ٢٠٠١ واليوم يعود الروس فيغلقون حدود شيشنيا ويقصفون عاصمتها جروزنى واقاليمها بالطيران لوقف مساعداتها لثوار داغستان ويخصصون عشرين الف جندى روسى لقمع الثورة فى داغستان المسلمة ولتهديد شيشنيا بغزو عاصمتها من جديد، وسوف يزيد حجم الحشد الروسى الى الضعف **فى منتصف اكتوبر، ماذا يحدث اذن فى داغستان؟ وما طبيعة ارتباط شيشينيا وداغستان؟ وهل يشن الروس هجومهم البرى المنتظر على شيشنيا اولا؟ وما هو حجم خسائر الروس المتوقع فى الغزو البرى وبخاصة انهم فقدوا فى داغستان** خلال شهرى اغسطس وسبتمبر ١٩٩٩ زهاء ثلاثمائة قتيل والف جرى!!

داغستان عبر التاريخ

داغستان اسم ذو اصل تركى ويعنى ارض الجبال وتقع فى القوقاز، وثلاثة ارباع مساحة الدولة تشكل جزءا من جبال القوقاز الكبرى التى تمتد من بحر قزوين فى الشرق الى البحر الاسود فى الغرب، والربع الباقى من مساحة داغستان عبارة عن سهل ساحلى ضيق على الشاطىء الغربى لبحر قزوين، ويضم اغلب مدن الدولة واهمها العاصمة ماخا شكالا، ودربنت، وخاسات فورت، وبوسيناكسك، وكيزلیار، والجو دافىء عموما، ودرجة الحرارة الصغرى فى الشتاء تحت الصفر المئوى بثلاث درجات، وتصل فى الصيف الى ٢٣ درجة مئوية.

وداغستان من اقدم اماكن استيطان البشر، وكان سهلها الساحلى طريقا للتجارة والغزو من جنوب غرب آسيا الى شرق اوروبا، كما كانت جزءا من دولة البانيا القديمة فى بداية العصر المسيحى، وقد غزا الهون داغستان فى القرن الرابع الميلادى، ثم الساسانيون القادمون من فارس، وجاء العرب بالاسلام الى داغستان فى القرن السابع الميلادى ووخضعت للاتراك فى القرن الحادى عشر الميلادى ثم للمغوليين فى القرن الثالث عشر وتحاربت روسيا وتركيا وفارس على اقليم شمال القوقاز فى القرنين ١٧ و١٨ الميلادين قبل ان تسيطر روسيا على اغلب اراضى داغستان عام ١٨١٣، واستمرت المقاومة فى الجبال حتى عام ١٨٥٩، وفى سنة ١٩٢١ منحت موسكو لداغستان الحكم الذاتى كدويلة فى روسيا الاتحادية، وفى ظل الحكم الشيوعى اصبحت من افقر مناطق الدولة الروسية، وارتفعت نسبة البطالة الى ثلث حجم قوة العمل رغم موارد داغستان من قمح وذرة، وفواكه وخضراوات وصناعات النسيج والزجاج والمجوهرات وانتاج البترول والغاز الطبيعى من بحر قزوين، والثروة السمكية والمائية للبلاد.

ويصل تعداد سكان داغستان الى ٢,٢

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

مليون نسمة، ونحو ٩٠٪ منهم مسلمون، وينتمون الى قوميات عديدة اهمها الآبار، والاتراك ولا يتجاوز عدد ذوى الاصل الروسى ١٢٪ من السكان، وتحاول موسكو استغلال صراع القوميات لمنع وحدة المسلمين فى داغستان او شيشنيا.

. ابعاد الازمة الحالية

زادت حدة الصراع بين مسلمى القوقاز وحكومة الاتحاد الروسى منذ سقوط ميخائيل جورباتشوف وانحلال الاتحاد السوفيتى فى بداية التسعينيات، وذلك بصورة تدريجية تبلورت مع اقتراب عام ٢٠٠١ الى غاية عليا لشعبى داغستان وشيشنيا هى اقامة دولة قوقازية اسلامية تبدأ بالبلدين، ثم يمكن ان تنضم اليها فى المدى القريب او المتوسط دويلة انجوشيا التى تلاصق حدود شيشنيا الغربية، وبعدها اوسيتيا الشمالية، وهذه الدولة الاسلامية المرتقبة فى شمال القوقاز تملك موارد بترولية ومعدنية وزراعية وفيرة، وتتزايد امكانيات تعدين اليورانيوم فى اراضيها

وتمر عبرها خطوط انابيب البترول الى ميناء نوفوروسيسك على البحر الاسود، وخطوط المواصلات بين موسكو وباكو، وتختلف توجهات قادة المقاومة ازاء مشروع الدولة الفيدرالية الاسلامية، فنجد المقاتل الشيشانى شامل باساييف يقود مؤتمر و شعبى الشيشان وداغستان، ويدعو لاستقلال الدولتين، ومقاومة القمع الروسى لارادة التحرر فيهما، وقد استطاع تنظيم وتدريب قرابه سبعة الاف مقاتل، جاء ثلثهم من افغانستان وباكستان وتركيا ويوغوسلافيا وهم يتسللون فى جماعات صغيره لدعم المقاومة الاسلامية فى داغستان وباساييف مقاتل؟ شجاع وليس ارهابيا، ولا يعتبر مسئولا عن التفجيرات التخريبية فى روسيا، وهو يركز جهوده لتسليح قواته بالمقذوفات الموجهة المضادة للدبابات والطائرات وللحصول على مقذوفات ستينجر للدفاع الجوى ضد الطيران المنخفض من افغانستان، وقد هدد باساييف اخيرا بشن هجمات انتحارية ضد روسيا ما لم توقف هجماتها الجوية ضد شيشنيا.

ويحاول الرئيس الشيشانى اصلان ماسخادوف تهدئة الموقف مع روسيا والحصول على مساعدات اقتصادية خارجية لبلاده تسمح باستكمال البنية الاساسية للدولة فى المدى القريب (٦-٨ سنوات) قبل استقلالها، ومع ذلك فقد دفعته الاغارات السوفيتيه على بلاده الى التهديد صراحة بامتداد الصراع الى خارج شيشنيا وداغستان، بل والى روسيا ذاتها، وفى داغستان يتأرجح محمد على محمدوف رئيس مجلس الدولة بين الانقياد لاوامر القيادة الروسية وبين الاستجابة لقادة داغستان الوطنيين ورجال الدين من الداعين للاستقلال، والمقاومة سعيا اليه، وقد حاول محمدوف بالتعاون مع مفتى موسكو تهدئة حدة الازمة لكن ضربات الروس الجوية للعاصمة الشيشانية جروزنى والاهداف البترولية والكهربائية ومحطات الرادار، ومستودعات الجيش فى وسط وجنوب شيشنيا قضت على هذه الوساطة.

ويبرز القائد الاردنى الاصل امير خطاب كأحد اهم زعماء المقاومة الاسلامية فى داغستان، وهو يدعو الى تعاليم محمد بن عبدالوهاب مؤسس الحركة الوهابية فى شبة الجزيرة العربية، ولعل ذلك سبب اتهام موسكو للمملكة العربية السعودية بدعم ثوار داغستان وهو ما نفته الرياض. ويتهم الروس امير خطاب بتلقى مساعدات مالية من اسامة بن لادن يستخدمها فى شراء الاسلحة من المنحرفين فى صفوف القوات الروسية ذاتها او من الخارج وترفض روسيا استقلال الشيشان عام ٢٠٠١ وتغلق حدود شيشنيا وتحشد عليها قرابة ثلاثين الف جندى روسى، وتضرب بالطيران بنيتها الاساسية، ومطاراتها لقطع المعونات المحتملة عن ثوار داغستان واحباط جهودومساعى شيشنيا للاستقلال ويطبق الروس تكتيكات تدمير قواعد حرب العصابات بدون تماس معها بالاعتماد على الهجمات الجوية بمعدل ٣٠ طلعة طائرة / يوم. والحصار، والتهديد بالهجوم البرى على شيشنيا وتسلل القوات الخاصة الروسية الى اراضيها، وتسعى موسكو الى تشكيل ميليشيات موالية لها من بعض مواطنى داغستان، وبخاصة ذوى الاصل الروسى، لتقتتل مع الجماعات الوطنية المنادية بالاستقلال والوحدة الامريكية والموساد الاسرائيلى لقطع صلات ثوار شيشنيا وداغستان بالدول العربية والاسلامية وبخاصة تركيا وباكستان وافغانستان وايران والمملكة العربية السعودية، وقد ذهبت عناصر من مكتب التحقيقات الفيدرالى الامريكى الى موسكو لمقاومة التفجيرات وكشف مديريها، كما قدمت حكومة صديقنا ايهود باراك مشورتها للروس حول مقاومة الحركة الثورية فى داغستان ويلفت النظر هنا ان واشنطن وتل ابيب تهاجمان اندونيسيا التى منحت حق تقرير المصير، والاستقلال لشعب تيمور الشرقية، وتدعمان روسيا التى تحرم شعوب القوقاز، وبخاصة شيشنيا وداغستان ومن حق تقرير المصير، وتدعى انها تقصف قواعد المتمردين فى الاراضى الروسية لان شيشنيا جزء من روسيا!! وتعتبر موسكو ان حشد قوة تزيد عن فرقتين، احداهما مدرعة، والاخرى مشاة ميكانيكية، فى شمال داغستان ليس إلا اعادة تمركز طبيعية فى اطار التوزيع الاستراتيجى للقوات الروسية فى اراضيها!!

التطورات القادمة للأزمة

لن يستطيع الروس اخماد الثورة فى داغستان والرغبة فى الاستقلال فى شيشنيا فى غضون شهور كما يخطط يلتسين ورئيس وزرائه ذلك ان تصميم غالبية شعبى البلدين على الحرية، والطبيعة الجبلية، لاراضيهما، والمد الاسلامى فى القوقاز واسيا الوسطى سوف تؤدى الى استمرار الثورة فى شمال القوقاز لبضع سنين قادمة، وسوف تزيد رقعة الصدام بين الروس وشعوب المنطقة، وبخاصة بعد تدفق الاف اللاجئين من الشيشان الى انجوشيا التى تغلى بالغضب والتذمر من الهيمنة الروسية على مقاديرها.

لكن ثوار داغستان يفتقرون الى السلاح، ولا يمتلكون من قطع المدفعية، والمدفعية الصاروخية سوى اربع او خمس بطاريات، ويحتاجون الى المقذوفات الموجهة ضد الدروع والطيران المنخفض للتصدى للقوات الروسية التى تمرح فى شمال القوقاز، وتنكل بشعوبه منذ عهد القياصرة قبل الثورة البلشفية، ولا يستطيع الايرانيون او الباكستانيون بعد التدخل المؤثر فى الصراع لكن يبقى امران مهمان، اولهما هو الدعم المادى وهو فى مقدور شعوب وحكومات اسلامية وعربية عديدة، ثم خدمة الدعوة الدينية فى داغستان التى تملك ١٦٠٠ جامع واكثر من ٢٥ مدرسة اسلامية تعانى جميعها من نقص الائمة والدعاة، واظنها مهمة نبيلة لن يتقاعس عنها ازهرنا الشريف.

وسنظل نرقب إعلان مواقف الدول العربية من الانتفاضة الاسلامية فى شمال القوقاز، وبخاصة لان موسم الصيف ينتهى خلال ايام ويمكن ان نعاود التفكير والتأمل والقليل من العمل، ولله الامر من قبل ومن بعد.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية